المشهد

العدد 355 – السنة الرابعة عشرة - الأربعاء 1 يوليو 2026م. 16 محرم 1448 هـ

قالت العرب

لي من سليمانَ الحكيمِ مروءةٌ .. في قوةٍ ليست تُسيءُ لنملَةْ

ومحمّدٌ كلٌ .. وحبٌ كلٌ .. فإذا كرهتَ .. خسِرتَ حبّك كلّهْ

الخوفُ يابنَ- الخوفِ لحنٌ ناقصٌ .. في الضوءِ.. لونُ قصيدةٍ مختلّةْ

قبطى حلم بدخول الأزهر فوهبته البلاغة سرها

جرجس شكري.. سيرة مبدع وضع رهانه على الزمن

فى السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٦٧، وُلد الشاعر والناقد المسرحى جرجس شكرى بمدينة سوهاج، فتشرب ثقافتها الشعبية، نشأ على صوت هوميروس العرب جابر أبو حسين، شاعر الربابة وراوى السيرة الهلالية، الذى يضعه جرجس ضمن أكثر عشرة أشخاص أثروا فى تكوينه، قائلًا: «هوميروس العرب جابر أبو حسين... اقتحم طفولتى صدفة، حاملًا سحر الحكايات، فسافرت معه مخيلتى فى حروب ومغامرات على أنغام مقام الصبا، بلغة تبنى القلاع وتقتحم أسوار المدن فى صورة شعرية فطرية. كنت، وأنا أستمع إليه، أشاهد عرضًا مسرحيًا متكاملًا فى هذا الأداء الصوتي؛ إنه هوميروس العرب الذى ظلمته الثقافة الرسمية».

وفى الثالثة عشرة من عمره، عرف عنه نفسه الولع بالقراءة، وكان طه حسين من أوائل من شكلوا وعيه، حتى إنه يضعه فى المرتبة الثانية بين أكثر الشخصيات تأثيرًا فى حياته بعد توفيق الحكيم، قائلًا: «لا أتخيل الأدب العربى بدون طه حسين، كنت محظوظًا لأننى قرأته فى سن مبكرة، فتعلمت كيف أقرأ التراث العربي».

فى النصف الثانى من ثمانينيات القرن الماضى التحق بكلية التجارة بجامعة سوهاج، وفى عام ١٩٨٩، وبينما كان لا يزال طالبًا، استقل القطار إلى القاهرة حاملًا قصائده ليطرق باب الناقد الكبير عبد القادر القط من دون معرفة سابقة، وفى عام ٩٠ نال شرف الجندية المصرية "ضابط احتياط" لمدة ثلاث سنوات، فى ظل حرب الخليج الثانية، ليستقر نهائيًا فى القاهرة منذ ١٩٩٤م.

سر التقارب

فى عام ٢٠١٨ التقيتُ جرجس شكرى للمرة الأولى فى مقهى سوق الحميدية بميدان باب اللوق، بصحبة المسرحية نورا أمين. شربنا القهوة، ثم توجهنا إلى مسرح الجمهورية بعابدين لمشاهدة العرض الراقص «ياسين وبهية» للمخرجة كريمة بدير، ضمن فعاليات مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبي. ومنذ ذلك اللقاء، وفى كل مرة أجلس إليه، أشعر أننى أعيد اكتشاف إنسان جديد، نادر المثال، يصدق فيه ما كتبه الشاعر والناقد والروائى والمترجم اللبنانى عبده وازن: «لا يشبه جرجس شكرى إلا نفسه»، إبداعًا وإنسانًا.

وأحيانًا أفسر هذا التقارب بيننا بانتمائنا المشترك إلى الجنوب؛ بما يحمله من وحدة فى العادات والتقاليد والأحلام. فقد جاء جرجس من صعيد مصر إلى القاهرة، حاملًا حقيبته على ظهره، لا يعرف فيها أحدًا، سوى ثقته بموهبته واعتزازه بنفسه.

ذات مساء، بعدما انتهينا من مشاهدة عرض مسرحى على مسرح السامر، سألنى عن وجهتي، فقلت إننى سأتمشى حتى ميدان الدقي، لأننى كلما سنحت لى الفرصة المرور من أمام بيت نجيب محفوظ أفعل، ابتسم، فهو أيضًا من عشاق محفوظ، ويقول عنه فى قائمة أكثر الشخصيات تأثيرًا فيه: «أدهشتنى قدرته الفذة على تمثل الأفكار الفلسفية الكبرى ليمنحها لشخصياته البسيطة، من خلال كلمات عميقة تحمل فى طياتها لغة التكثيف الشعرى ببراعة لا يتقنها سواه. وأنا أقرأ روايات نجيب محفوظ ألتقى سقراط وسارتر وهيدغر وهيجل وسواهم فى ملابس الحرافيش».

ترافقنا فى الطريق، وما إن وصلنا أمام منزل محفوظ سألته: هل التقيته يومًا؟ فأجاب مرة فى أواخر الثمانينيات أو مطلع التسعينيات. كان آنذاك شابًا يزور القاهرة، لا يملك مكانًا يقيم فيه، وكان أحد المقاهى القريبة من ميدان التحرير يسمح صاحبها بالجلوس ساعات طويلة على إحدى طاولاته. وفى أحد الأيام، بعدما حصل على مكافأة عن مقال كتبه (٣٥ جنيهًا)، قرر أن يكافئ نفسه بفنجان قهوة فى مقهى أكثر أناقة. صباحًا بينما كان غارقًا فى قراءة كتاب، فوجئ بمن يلقى عليه السلام. رفع رأسه، فإذا به نجيب محفوظ. يقول إنه تجمد فى مكانه، وعجز عن النطق، بينما كان أديب نوبل يتجه إلى مقعده المعتاد. وحين سألته: كيف بادره محفوظ بالسلام وهو لا يعرفه؟ ابتسم وقال: «رأى معى كتابًا أقرأه، فقال: ده أكيد تبعنا.»

تكشف هذه الحكاية، على بساطتها، كثيرًا من ملامح تجربة جرجس شكرى فيها معنى العصامية، وحلم ابن الجنوب الذى يشد رحاله إلى العاصمة حاملًا موهبته وحدها. وربما لذلك ظل هذا اليوم الأكثر رسوخًا فى ذاكرته من أول يوم فى المدرسة أو الجامعة، بل ومن الحب الأول، فكلها كما يقول «مجرد أيام وأحداث مضت»، أما رحلته الأولى إلى القاهرة فقد بقيت علامة فارقة فى حياته. ويستعيد تلك اللحظة قائلًا: «لكنه فجأة تذكر القاهرة ليلة أن وضع نفسه مساءً فى قطار الدرجة الثالثة المعتم ليصل إليها صباحًا لأول مرة فى حياته... وعلى هدير عجلات القطار الذى يخلو من النوافذ تقريبًا كان يتأمل الوجوه فى الإضاءة الخافتة وسط دخان السجائر الكثيف... وجد نفسه يغلق الكتاب الذى كان يقرأه بصعوبة فى هذا الضوء الشاحب ويضعه فى الحقيبة التى كان يحتضنها ويحتمى بها من البرد، ثم ألقى بنفسه فى غمار الدخان والشاى والوجوه الشاحبة والحكايات التى تنضح بالبؤس والشقاء والسعادة فى آن».

وصل صباحًا إلى القاهرة، فسأل أولًا عن مقهى زهرة البستان، وأخذ يتأمل عمائر القاهرة الخديوية، ويقارن بين المدينة التى عرفها فى الكتب والأفلام، والقاهرة الواقعية الصاخبة. ثم قصد مقر مجلة إبداع، التقى عبد القادر القط وسلمه قصيدته. أعجب بها القط ووعده بالنشر فى العدد التالي، وهو ما كان يعنى لشاعر شاب آنذاك ما يشبه إصدار كتاب كامل. ويصف شعوره قائلًا: «كانت القاهرة وشوارعها فى وسط المدينة أوسع من الدنيا كلها فى ذلك اليوم، كان يشعر بالخوف والسعادة، وطاف كثيرًا فى الشوارع».

وحيد فى مدينة لا يعرفها

ومع حلول المساء، غادر الجميع، وبقى وحيدًا فى مدينة يزورها للمرة الأولى، لا يعرف فيها أحدًا، فداهمه السؤال: «ماذا سيفعل فى هذه المدينة التى يلتقى بها لأول مرة ولا يعرف فيها أحدًا؟ وأين سيقضى ليلته الأولى فى هذا الشتاء القارس؟». لم يجد سوى أن يعود إلى سوهاج، ليصل إلى بيته فى صباح اليوم التالي، ويلقى بنفسه على سريره متسائلًا: «هل كنت هناك أمس؟ هل ذهبت إلى القاهرة أم كنت أحلم؟».

فى هذه الرحلة يلفت الانتباه الكتاب الذى لا يكاد يفارق يد جرجس شكرى فى القطار فى المقهى فى أى مكان يحل فيه، حتى إنه يختصر علاقته بالحياة فى عبارة مكثفة: «أقرأ سنوات، وأكتب ساعات». ولعل هذا الولع المبكر بالقراءة هو المفتاح الحقيقى لفهم تجربته الإبداعية، وفى لغته الأسرة، الجامعة بين الحساسية الشعرية والعمق الفكري، سواء فى دواوينه أو فى مقالاته النقدية. وكثيرًا ما تعيدنى متانة هذه اللغة وجماليتها إلى عالم ألفريد فرج، بما فيه من ثراء ثقافى وقدرة على تطويع التراث.

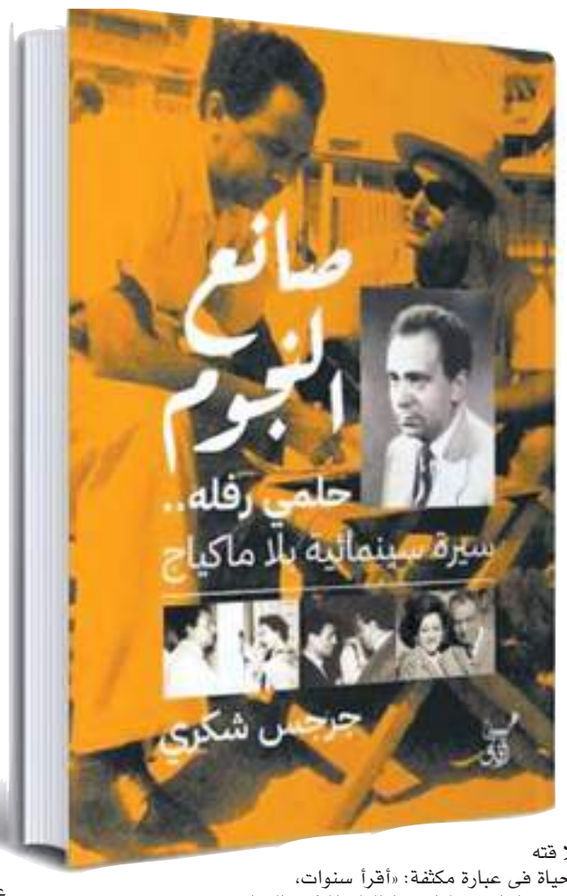

ولع بالتراث

ولم يكن هذا التكوين وليد المصادفة، فقد ارتبط منذ صباه بقراءة طه حسين، حتى إنه فكر فى الالتحاق بدار العلوم والسير على خطى عميد الأدب العربي، لكنه أدرك أن ذلك لم يكن ممكنًا بالنسبة إليه، لأنى قبطى فاختار طريقًا آخر، انصرف إلى قراءة التراث العربى والإسلامى قراءة واسعة، يصفها بأنها كانت «جنونية». ومن هذا الينبوع خرجت محاولاته الشعرية الأولى، فبدأ بالشعر العمودي، مدفوعًا بشغفه بالمتنبى والبحترى وأبى العلاء المعرى وغيرهم من كبار شعراء العربية، وظل حتى سنوات الجامعة مترددًا فى تقبل شعر التفعيلة.

ويبدو هذا الميل طبيعيًا لمن تشكل وجدانه على شعر أحمد شوقي، الذى يقول عنه: «قرأته فى سن مبكرة، فظننت أن الشعر هو أحمد شوقي، وأن أحمد شوقى هو الشعر، وكنت أقلده بسذاجة الطفولة... سيذهب كثيرون من أصحاب الأشكال الحديثة، ويبقى شوقى الشاعر الكلاسيكي، لأن الشعر لا يعرف سوى الشعر». ومع ذلك، لم يحجب إعجابه بشوقي تقديره الكبير لبيرم التونسي، الذى وضعه أيضًا ضمن أكثر الشخصيات تأثيرًا فيه، واصفًا لغته بأنها «لغة مصرية خالصة، تجسد روح الشعب، وتهرع إليه من الشوارع والحارات والمقاهي».

ويتجلى ولع جرجس شكرى بالتراث العربى فى كتاباته وأحاديثه على السواء. ففى أحد حواراته مع إسكندر حبش يستشهد بمقولة الإمام علي: «الغنى من استغنى»، بينما أنا أثبت على صفحتى مقولة تشبهها «الاستغناء سيد الفضائل» استشهاد يكشف عن جانب مهم من شخصيته، يعبر عن قناعة راسخة بعدم اللهاث وراء ما يراه زائلًا، وإيمان بأن ما يبقى فى النهاية هو الإبداع الصادق. ولعل ذلك يفسر ترديده الدائم لعبارته: «الموهبة مش بالعافية»، وابتعاده عن دوائر الشلل الثقافية وعلاقات المصالح، مفضلًا أن يترك أعماله تتحدث عنه.

ومن يتأمل مسيرته يلحظ أنه اختار طريقًا أكثر هدوءًا وأشد صعوبة طريق الانشغال بالكتابة فالمشهد الثقافى عرف عبر العقود أسماء ملأت الصحف حضورًا، وحصدت الجوائز والنجومية المصطنعة، واستندت إلى النفوذ والعلاقات، ثم غابت آثارها بانحسار حضورها. أما الأعمال التى كتبت بإخلاص فهى وحدها التى تواصل حياتها فى ذاكرة القراء، آمن جرجس شكرى بهذه الحقيقة مبكرًا، فاختار أن يراهن على الزمن.

ثقة هادئة

هذا الإيمان يمنح جرجس شكرى ثقةً هادئة فى مشواره، فلا يلتفت إلى البهرجة. فما دام قد أخلص لقلمه وموهبته، فهو يتمثل دائمًا الحكمة القائلة «قل كلمتك وامض» ومن اللافت أن التقدير الذى حظيت به تجربته خارج مصر يفوق، فى جوانب عديدة، ما نالته داخلها. فقد تُرجمت أعماله إلى عدد من اللغات، منها الألمانية والإنجليزية والفرنسية والسويدية والهولندية والكتالونية والسلوفينية والمجرية. ففى عام ٢٠٠٤ صدرت بالألمانية مختارات من دواوينه الثلاثة الأولى بعنوان «ما تبقى منا لا يهم أحدًا»، ثم تُرجم ديوان «والأيدى عطلة رسمية» عام ٢٠٠٦، وتلاه ديوان «تفاحة لا تفهم شيئًا» عام ٢٠١٧. كما صدرت له مختارات بالهولندية والإنجليزية فى روتردام، وأخرى بالسلوفينية والإنجليزية فى سلوفينيا عام ٢٠١٩.

ولم يقتصر هذا الحضور على الترجمة، بل امتد إلى مشاركاته فى مهرجانات شعرية ومسرحية دولية، وهى التجارب التى سجلها فى كتابه «كل المدن أحلام» (٢٠٢١)، مستعيدًا رحلاته إلى عدد من المدن الأوروبية فى ألمانيا وفرنسا وسويسرا وهولندا والسويد والنمسا، ومقدمًا رؤية إنسانية وثقافية تتجاوز مجرد أدب الرحلة إلى تأمل الذات وهى تعبر الأمكنة والثقافات.

ولقيت أعماله الإبداعية الشعرية حفاوة من أقلام نقدية عرفت بجديتها فقد رأى إدوار الخراط أن شعره «يجمع بين إيقاعية الشعر وسردية القص ومشهدية الدراما المسرحية»، وهو ما يجعله قريبًا من الكتابة العابرة للأنواع، مع احتفاظه بجوهره الشعرى وهيمنة الإيقاع على بنائه.

أما صلاح فضل فالتفت إلى البعد الفلسفى فى تجربته، معتبرًا أن شعره «يمتزج بعرق فلسفى ضارب فى أصلابه»، يجمع بين التأمل فى الأسئلة الوجودية الكبرى والقدرة على التقاط تفاصيل الحياة اليومية، لينتقل على غير المألوف من التجسيد إلى التجريد.

ورأى عبده وازن أن جرجس شكرى «يكتب بحرية تامة، لكنها حرية من يملك وعيًا شعريًا حادًا ومراسًا متمكنًا فى مواجهة مستحيل اللغة وصعوبة التعبير»، بينما قرأ بول شاؤول أعماله من منظور وجودي، فرأى فى ديوان «أشياء لها كلمات» واحدًا من أكثر الدواوين تعبيرًا عن قلق العالم الحديث وعدميته، حتى بدا الشاعر، فى وصفه، كأنه «ضيف الرعب القادم».

ويقترب من هذا الفهم ما ذهبت إليه نجاة علي، إذ رأت أن المفارقة الساخرة التى تقوم عليها دواوينه ليست تعبيرًا عن العدم بوصفه نفيًا للحياة، إنما محاولة لاكتشاف معناها من خلال مواجهة هشاشتها، حيث يصبح العدم الوجه الآخر للوجود.

مشروع شعري

وخلال ثلاثة عقود تقريبًا، بنى جرجس شكرى مشروعه الشعرى عبر دواوين متتابعة، بدأت بـ «بلا مقابل أسقط أسفل حذائي» (١٩٩٦)، ثم «رجل طيب يلكم نفسه» (١٩٩٨)، و«ضرورة الكلب فى المسرحية» (٢٠٠٠)، و«والأيدى عطلة رسمية» (٢٠٠٤)، و«تفاحة لا تفهم شيئًا» (٢٠١٢)، و«أشياء لها كلمات» (٢٠١٧)، وصولًا إلى ديوانه الأحدث «يحمل سلة مزدحمة بالماضي» (٢٠٢٦).

حملت مسيرة جرجس شكرى جانبًا آخر لا يقل أهمية عن تجربته الشعرية، يتمثل فى عمله مسئولًا عن النشر بالهيئة العامة لقصور الثقافة، وظف موقعه لخدمة مشروع ثقافى واضح أثمرت رؤيته نشر مئات الكتب المهمة، ولا سيما فى مجال المسرح، ولم يكن هذا الانحياز إلى المسرح طارئًا، فهو الناقد المسرحى يكتب فى مجلة الإذاعة والتلفزيون منذ عام ١٩٩٤، كما حصل على دبلوم النقد المسرحى من المعهد العالى للنقد المسرحي، وتتلمذ على أيدى عدد من كبار أساتذة النقد، وفى مقدمتهم الدكتورة نهاد صليحة. ويؤمن بأن الناقد المسرحى لا يكتفى بالإلمام بالنظريات والمدارس المسرحية، ينبغى للناقد أن يمتلك معرفة واسعة بالفنون التشكيلية والسينما والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع، وهو ما يتجلى بوضوح فى مقالاته التى تقرأ العرض المسرحى فى سياق ثقافى وفكرى أرحب.

وتكشف دراساته عن قدرة لافتة على اكتشاف الزوايا التى يغفلها الآخرون. ومن أحدث الأمثلة على ذلك مقاله فى مجلة نزوى عن الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي، الذى أعاد فيه الاعتبار إلى مشروعه المسرحي، كاشفًا عن تأسيسه فرقة «الصعايدة» بوصفها محاولة لتطبيق رؤيته النظرية في تأسيس مسرح عربي، وتظهر هذه الرؤية أيضًا فى قراءاته لأعمال ألفريد فرج، ولينين الرملي، وبهيج إسماعيل، وفى محبته الخاصة لتوفيق الحكيم، الذى يقول عنه: «تعلمت منه البحث عن روح الشخصية المصرية التى كانت محورًا لكل أعماله، والبحث فى تكامل ملامحها بين مصر الفرعونية والمسيحية والإسلامية، والإيمان العميق بحضارتها وتاريخها وشعبها».

ولجرجس شكرى فى النقد المسرحى رصيد لا يقل أهمية عن منجزه الشعري، من أبرز كتبه «تمارين الحرية: دراسة فى المسرح المستقل (٢٠١٠)»، و«الخروج بملابس المسرح: دراسة حول المسرح والثورة»، و«اللامنتمي: دراسة فى أعمال المخرج المسرحى سمير العصفوري» (٢٠١٨)، و«مغامر: لينين الرملي» (٢٠٢٠)، و«بهيج إسماعيل... الحلم والواقع ومسرح الحياة» (٢٠٢١)، إلى جانب إعداده وتقديمه كتاب ١٥٠ سنة مسرح: أبحاث وشهادات»، وبحثه «أوراق فاروق عبد القادر المنسية».

أدب الرحلة

ولم يتوقف عطاؤه عند الشعر والنقد، امتد إلى أدب الرحلة فى كتابه «كل المدن أحلام» (٢٠٢١)، ثم إلى كتابة السيرة الفنية فى كتابه «صانع النجوم... حلمى رفلة: سيرة سينمائية بلا مكياج (٢٠٢٦)».

هذا المنجز المتعدد، لم يحظ جرجس شكرى إلا بعدد محدود من الجوائز، من أبرزها جائزة الدولة التشجيعية عام ٢٠١٥ عن دراسته حول المسرح والثورة، والجائزة الأولى فى الصحافة الثقافية من نقابة الصحفيين المصرية عام ٢٠٢٠. لأنه لا يسعى إليها بالأساس مدركًا أن القيمة الحقيقية لتجربته تقاس بما تركه وسيتركه من أثر فى الشعر، والنقد، وبما رسخ لديه من إيمان بأن الثقافة مشروع طويل النفس يصنعه العمل المتواصل.

د. عبدالكريم الحجراوي